

هزائم الأصولية في سوريا وليبيا تقطع الطريق على توسعها في القوقاز

انخفاض واضح في العمليات الإرهابية في أقاليم كثيرة تابعة للاتحاد الروسي



رغم النجاحات التي حققتها روسيا في مواجهة الإرهاب مقارنة بالسنوات السابقة، فإن الخلايا النائمة التابعة للحركة السلفية في منطقة القوقاز مازالت تمثل عاملاً رئيسياً لزعزعة الاستقرار، لذلك يتوقع مراقبون أن تشهد الفترة المقبلة اتساعاً في مستوى المواجهة بين سلطات الكرملن وتلك الحركات المتطرفة.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

ثمة خطوط ممتدة تربط بين مواجهة موسكو لحركات الإسلام الراديكالي خارج حدود الاتحاد الروسي، وما تواجهه من مخاطر نتيجة تمدد الجماعات ذاتها داخل بلاد القوقاز. فجماعات السلفية الجهادية على التخوم وداخلها تتشابه في السمات والتكتيكات والمنهج الفكري مع الجماعات الراديكالية في كل من سوريا وليبيا والعراق، وإن اختلفت الأهداف والمسلمات.

وتبدو المواجهة بين الدولة الروسية الساعية لاستعادة جانب من دور سابق كان للاتحاد السوفييتي، وبين الجماعات الإسلامية الراديكالية، حتمية وحاددة ومعبرة عن صراع طويل الأمد يُغير مواقعه وتكتيكاته ويستخدم كل سبل المواجهة الفعالة.

ويرى عمرو الديب، الباحث المصري المتخصص في شؤون الجماعات الراديكالية، أن الفترة المقبلة سوف تشهد اتساعاً في مستوى المواجهة، ولجوء موسكو إلى محاولات متنوعة وتبني تكتيكات جديدة لاستئصال المزيد من المتطرفين، تاراً بهزائم الجماعات السلفية الشبيهة في مناطق أخرى، ونتيجة لتغير مواقف بعض الدول العربية الداعمة لها. ويقول الديب في حوار مع "العرب"، إن هناك جملة من النتائج الملموسة للمواجهة الشاملة لجماعات التطرف الإسلامي المنتشرة في بلدان الاتحاد الروسي، لاسيما داخل دولة الشيشان، ويعني ذلك الاقتراب من القضاء على الفكر السلفي المنتشر داخل الحدود، بعد أن نجحت الحكومة في تحييد خطره.

عمرو الديب
جميع التيارات الدينية تشكل خطراً داهماً على الاتحاد الروسي

وعمر محمد الديب، باحث أكاديمي مصري في جامعة نجني نوفورود الحكومية الروسية (لويانشفيسكي)، ويعمل مديراً لمركز خبراء "رياليست" الروسي، وهو عضو في الهيئة الأكاديمية الاستشارية للمنتدى العربي لتحليل الدراسات الإيرانية، ويعمل مستشاراً سياسياً لعدد من الشركات الروسية المتخصصة في مجال الطاقة.

إطاراً قانونياً حاكماً للمواجهة، والأخرى أيديولوجية تعتمد على الفكر والتعليم والثقافة والفهم الديني القابل للتعايش، ما دفع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للتأكيد مراراً على ضرورة التفرة بين الإسلام كدين وبين أنشطة الجماعات السلفية كتوجهات سياسية.

مواجهة فعالة

نكر عمرو الديب "العرب" أن المواجهة التشريعية تستند إلى المادة الثالثة عشرة من الدستور، التي تنص على "حظر إنشاء الجمعيات العامة ذات الأهداف والأنشطة الموجهة نحو التغيير القسري لأساس النظام الدستوري، وانتهاك سلامة الاقتصاد الروسي، أو تقويض أمنه، أو إنشاء وحدات مسلحة، أو التحريض على الفتنة الاجتماعية أو العرقية أو القومية أو الدينية، كذلك حظر أنشطتها".

وكشفت أن الاتحاد الروسي أقر خطة عمل شاملة لمكافحة الأفكار السلفية بتمتد تنفيذها لعام 2025، اعتمدت على نظام تعليمي وأخلاقي يُرسخ قيم المواطنة ويعزز ثقافة التسامح وقبول الأخر



داغستان مسرح مستمر للإرهاب

عداء دفين للسلطة

التطرف، ويرفض أي فكر انفصالي يؤثر سلماً على الاستقرار. وبالنسبة لموقف سكان الجمهوريات المسلمة من إجراءات الحكومة الفيدرالية والسلطات المحلية لمكافحة الجماعات السلفية، أوضح الديب أن الغالبية العظمى من السكان تدعم مكافحة الفيدرالية، لأن معظم شعوب الجمهوريات عانت من ويلات الحروب، خاصة في الشيشان وداغستان، قائلاً "لقد زرت البلدين مؤخراً ورايت ذلك بنفسى".

هناك جملة من النتائج الملموسة للمواجهة الشاملة لجماعات التطرف الإسلامي المنتشرة في بلدان الاتحاد الروسي، لاسيما داخل دولة الشيشان



ولا تقتصر هذه الخلايا على داغستان أو الشيشان، بل تمتد إلى إنغوشيا وقبردينو بلقاريا، حيث يرتكب الإرهابيون أعمال عنف ضد مسؤولين وشخصيات مسلمة موالية للسلطات الفيدرالية الروسية. وأوضح الباحث والأكاديمي المصري أن هناك أسباباً عديدة ساعدت على انتشار الفكر المتطرف داخل المجتمعات الإسلامية في روسيا الاتحادية، أبرزها انخفاض مستويات التوعية الاجتماعية، خاصة في مناطق شمال القوقاز، وما صاحب ذلك من ارتفاع في نسب البطالة بين الشباب، وتراجع الخدمات الأساسية، وأسهم انتشار الأمية في تمدد الأفكار الراديكالية.

وقال الديب "العرب" إن انخفاض تأثير دور الدين التقليدي في حياة المجتمع أدى إلى هيمنة الدين غير الرسمي، فلم يعد أمام الشباب المسلم سوى طريقين، أولهما الصوفية، وثانيهما السلفية، وبما أن الطريق الثانية مقربة جدا للسلطة الفيدرالية في موسكو، فلا يجد الشباب المسلم سوى السلفية كمالا، نظراً لعدم ثقته في السلطة السياسية المحلية والفيدرالية.

وأدت هجرة نسبة من السكان إلى انخفاض وصل لحوالي 27 في المئة، لتتحول الكثير من المجتمعات في شمال القوقاز إلى مجتمعات شبيهة إسلامية، ما جعلها تربة خصبة لزيادة تأثير التيار السلفي.

تباين التوصيفات

أكد الديب أن هناك تبايناً في مصطلح السلفية داخل الاتحاد الروسي عنه في الوطن العربي، ومن المعتاد أن يتم إطلاق مصطلح السلفية في روسيا الحديثة على أنها مجمل فروع الحركات الإسلامية التي

تحمّل في طياتها توجهات سلبية تجاه الإسلام نفسه، فموسكو تحاول الاقتراب أكثر من دول العالم العربي، ومد خطوط تعاون مباشر في مجالات عديدة من بينها مكافحة الإرهاب، وهناك تأكيد على أن الإسلام في حقيقته بعيد تماماً عن